

مقتطفات من: " الطب النفسي الإيقاعي التطوري " الكتاب الثاني: "المقابلة الطليونية: بحث علمي بممارسة فنية" (19)

الفصل الرابع: التركيب الأسري والطفولة الباكرة

نشرة "الإنسان" 2022/05/14

السنة الخامسة عشرة - العدد: 5369



yehiatrakhawy@hotmail.com

بروفيسور يحيى الرخاوي - الطب النفسي، مصر

استهلال:

نواصل اليوم هذا النشر المتقطع من هذا الكتاب وأمل أن تُقرأ نشرة الأسبوع الماضي قبل متابعة نشرة اليوم التي سنقدم فيها ما تيسر من الفصل الرابع.

يحيى

الفصل الرابع

التركيب الأسري والطفولة الباكرة (4)

.....

ثانياً: عن مرحلة الطفولة الباكرة:

المتن (2):

يسأل الفاحص في هذه المرحلة عن عادات الأكل، والإخراج، ونمو الكلام، والسماة العصابية: [مثل قضم الأظافر، ومص الإصبع، ونوبات الشكاسة Temper Tantrum، والبوال الليلي، والنهارى، واللازمات، وفرط النشاط] وكذلك يُرصد أى سلوك انحرافى أو سوء تصرف، كما يُسأل عن علامات باكرة لأى احتمال تخلف عقلى بسيط أو جسيم، وهى علامات تظهر أكثر فى تأخر معدّل النمو عامّة، وخاصة فيما يتعلق بالتعلم البسيط للعادات الجديدة..، ويسأل فى هذه الفترة أيضا عن تاريخ ضِرار الأطفال "Child Abuse" (من الوالدين أو غيرهم) دون الاقتصار على الجانب القهرى أو العقابى ولكن أيضا بالبحث عن الجانب السلبي للضِرار فى صورة الإهمال أو الحرمان أو الاستعمال.

التحديث:

أبدأ بالتذكرة بأن المعلومات المتاحة عن هذه المرحلة هى معلومات تقريبية، وإن كان يمكن الحصول عليها أحيانا من المريض نفسه - مهما كان عمره - بدرجة أفضل من المرحلة السابقة، فكثيرا ما يذكر المرضى أحداثا ذات دلالة فى سن قبل دخول المدارس (حتى السادسة وأحيانا قبل ذلك) وليس نادرا أن تكون هذه الأحداث لها دلالتها الخاصة، وأثارها المتبقية، وكثيرا ما تتعلق هذه الذكريات ليس فقط بأحداث وقعت للشخص (المريض نفسه)، وإنما فى الأسرة كلها، وتركت ما تركت فيه بما قد يتذكره

مرحلة الطفولة الباكرة يسأل الفاحص فى هذه المرحلة عن عادات الأكل، والإخراج، ونمو الكلام، والسماة العصابية: [مثل قضم الأظافر، ومص الإصبع، ونوبات الشكاسة Temper Tantrum، والبوال الليلي، والنهارى، واللازمات، وفرط النشاط] وكذلك يُرصد أى سلوك انحرافى أو سوء تصرف

المعلومات المتاحة عن هذه المرحلة هى معلومات تقريبية، وإن كان يمكن الحصول عليها أحيانا من المريض نفسه - مهما كان عمره - بدرجة أفضل من المرحلة السابقة

يلاحظ أيضا بالنسبة لمعلومات هذه الفترة (وما بعدها بقليل) أن الأمهات المصريات (وربما العربيات عموما) يصفن أولادهن صفات كثيرة أغلبها حسنة، كما ينكرون أى نقص أو

قصور وخاصة في الذكاء
والقدرة المعرفية

أن إنكار القصور المعرفي
الخليقي، الذي هو أقرب إلى
القضاء والقدر في هذه السن
ولو كان متوسطاً أو نسبياً، قد
يترتب عليه أن يُطلب من
الطفل، أو يُتَوَقَّع منه ما هو
فوق قدراته

تتسع الهوة بين قدراته وبين
المطلوب أدائه سنة بعد سنة
حتى يُصَدِّم الأهل بموقعه في
التحصيل الدراسي، أو بأي
اختبار في خبرة عملية
موضوعية.

أما الثقافة المحلية الإيجابية
فهي تتبنى المبدأ الأشمل وأن
"كل راع مسئول عن رعيته،
وأنه "لا ضرر ولا ضرار"، بدءاً
بالأطفال والكهول وأصحاب
الاحتياجات الخاصة

أن الآثار المسببة، والمسئولة
عن هذا الضرر تختلف اختلافاً
هائلاً مع الاختلافات الفرعية
وأيضاً بين الثقافات الفرعية
المختلفة

إن البحث في هذه المنطقة،
فضلاً عن ما يتعرض له من

ويحكيه، أو لا يتذكره لكنه أثر فيه.

ويلاحظ أيضاً بالنسبة لمعلومات هذه الفترة (وما بعدها بقليل) أن الأمهات المصريات (وربما العربيات
عموماً) يصفن أولادهن بصفات كثيرة أغلبها حسنة، كما ينكرن أى نقص أو قصور وخاصة في الذكاء
والقدرة المعرفية، وهناك من الأمثال العامية المصرية ما يؤكد وجود هذا النزوع في ثقافتنا، وسوف أكتفى
بضرب مثلين دالين، مع التماس العذر لكل الأمهات اللاتي ينطبق عليهن شطر البيت العربي القائل
"وعين الرضا عن كل عيب كليلية"^[3].. لكن المثليين العاميين اللذان يعرّيان هذا الموقف: أفسى وأدق من هذا
الشعر العربي المهذب، المثل الأول يقول "القرد في عين امه غزال"، أما المثل الثاني الأكثر قسوة فهو
يقول "خنفسة شافت بنتها عالحيط : قالت دى لؤلؤة فُ خيط."

وقد ألهمنى هذا التحذير شعراً أحدث، في قصيدة: "طفلى الخاص"^[3]

-2-

طفلى طفلى

"طفلى غير عيال الناس"

أكذب مثلى مثل الناس.

إذ لو أتى قلت حقيقة نفسى

أو قالت مثلى من هُنَّ كمثلى

تشتعل الحرب بغير أوأُنَّ

بين الناس الأطفال

فالأطفال الناس،... أطفال الناس

أفضل دوماً:

من كل الناس.

-1-

طفلى طفلى

طفلى طفلى:

طفلى: ليس كمثلى الأطفال

طفلى الخاص

ملكى الخاص

الضحكة غير الضحكة

واللفتة والبسمة والغمزة

ولا ينبغي على الفاحص أن نرفض هذا الموقف أو نعيبه، فهو موقف إنسانى طيب تسمح به ثقافتنا،
لكن لا ننسى ما له من أضرار قد تستمر مدة، وتتراكم حتى يحضر الشخص مريضاً إلينا، ذلك أن إنكار
القصور المعرفى الخلقى، الذى هو أقرب إلى القضاء والقدر في هذه السن ولو كان متوسطاً أو نسبياً، قد
يترتب عليه أن يُطلب من الطفل، أو يُتَوَقَّع منه ما هو فوق قدراته، وتتسع الهوة بين قدراته وبين
المطلوب أدائه سنة بعد سنة حتى يُصَدِّم الأهل بموقعه في التحصيل الدراسي، أو بأي اختبار في خبرة
عملية موضوعية.

أما عن مسألة فحص وتقييم الضرر^[4] في هذه السن، فهذا عادة ما يرتبط بمفهوم الضرر والضرار
للأطفال بالذات، وهو مفهوم يختلف اختلافاً شديداً حسب الثقافة الفرعية، فالثقافة المستوردة الراقية قد
تجعل التدخين في حضور الأطفال أو بالقرب منهم جريمة يعاقب عليها القانون، حتى أن المدخن في
الشارع مثلاً في مونتريال (كندا) لا بد أن ينظر حوله ليتأكد من عدم وجود طفل على بعد كذا متراً من
سيجارتته، وإلا...!!... إلخ.

أما الثقافة المحلية عندنا ففيها لا يجازى الوالد الذى يقوم بختان ابنته ضد كل الفتاوى والنصائح الطبية
الواضحة، إذ لا يُعتبر مجرماً حتى الآن^[5]،

أما الثقافة المحلية الإيجابية فهي تتبنى المبدأ الأشمل وأن "كل راع مسئول عن رعيته، وأنه "لا ضرر

ألعاب الذاكرة إيجابا وسلبا، هو أمر بالغ الحرج في مجتمعنا خاصة، وبالتالي على الفاضل ألا يهمله، وفي نفس الوقت ألا يختزله وألا يتعامل معه من منطلق أخلاقي أو ديني بحت

ولا ضرار"، بدءا بالأطفال والكهول وأصحاب الاحتياجات الخاصة. وكذلك تختلف المواقف باختلاف الثقافات الفرعية، فضرار الأطفال في الزمالك غير ضرار الأطفال في عزبة القصيرين في غمرة، وضرار الاطفال بالعقاب الجسدي، غير ضرار الأطفال بالاعتداء الجنسي بدرجاته، وكل ذلك يحتاج إلى صبر ومعرفة قصوى بالاختلافات التطبيقية بين كل ثقافة فرعية وأخرى، هذا فضلا عن أن الآثار المسببة، والمسئولة عن هذا الضرار تختلف اختلافا هائلا مع الاختلافات الفردية وأيضا بين الثقافات الفرعية المختلفة.

ثم إن البحث في هذه المنطقة، فضلا عن ما يتعرض له من ألعاب الذاكرة إيجابا وسلبا، هو أمر بالغ الحرج في مجتمعنا خاصة، وبالتالي على الفاضل ألا يهمله، وفي نفس الوقت ألا يختزله وألا يتعامل معه من منطلق أخلاقي أو ديني بحت، فهو في البداية والنهاية طبيب لا قاض ولا إمام أو خطيب.

وهو أيضا يتوقف عند ظاهر الضرار .

ومن منطلق الطب النفسي الإيقاعوي، فإن الباحث الذي ينتمي إلى هذا النوع من الطب والتطبيب إنما يسمح بحركية - دون قصدواج - أطفاله بداخله، يحدث ذلك ليس فقط وهو يفحص المرضى الأطفال، ولكن أيضا وهو يتلقى المعلومات من وعي (أكثر من ذاكرة) المريض أيا كان عمره،

ثم علينا أن ننتبه كما علمنا "إريك بيرن" صاحب مدرسة "التحليل التفاعلاتي"، أن حالات الذات Ego States ليست فقط الحالات المعروفة (الطفل واليافع والوالد)، وإنما هي وحدات نمو متعاقبة ومتراصة الواحدة فوق الأخرى، وقد أغفل هذه الحقيقة - حتى بعض تلاميذه - كل من اختزل هذه النظرية العظيمة، وقد أضاف إريك بيرن أن "وحدات الذات Ego Units" وليس فقط "حالات الذات Ego States" هي اللبئات التي تبني بها الشخصية، وأن اللبئات الأولى أهم، لأنها "الأساس"، (وهي تمثل الطفولة خصوصا الطفولة الباكرة) وأن الجرح (سوء التربية أو عجز التنمية) إذا لحق هذا الأساس، فإن البناء يكتمل مائلا معرضا للانهييار، وكلما تأخر الجرح ليلحق بوحدات الذات (اللبئات) المتأخرة نسبيا: (مثلا في منتصف العمر أو بعد ذلك) كان الميل أقل، والعرضة للانهييار أبعد، أما إذا استقامت وحدات الذات (اللبئات: وحدات النمو) الواحدة تؤسس للتالية وهكذا، فإن البناء يتصاعد مع أقل ميل، وأخف خطر (أنظر الشكل)

.....
.....

(ونواصل غداً)

- [1] انتهيت من مراجعة أصول "الطب النفسي الإيقاعوي التطوري" وهو من ثلاث كتب: وسوف نواصل النشر البطيء آملا في حوار، وهو (تحت الطبع) ورقيا، إلكترونيا حاليا بالموقع www.rakhawy.net: وهذه النشرة هي استمرار لما نشر من الكتاب الثاني: "المقابلة الكلينيكية: بحث علمي بمهارة فنية."

- [2] نذكر القارئ بأن "المتن" هنا يشير إلى النصوص التي وردت في النسخة الأولى "ثنائية اللغة" من هذا العمل منذ أكثر من ثلاثين عاما (1986) وهو عمل غير منشور وأن التحديث هو ما طرأ على هذا المتن وخاصة بالنسبة لمنظور الطب النفسي الإيقاعوي.

علينا أن ننتبه كما علمنا "إريك بيرن" صاحب مدرسة "التحليل التفاعلاتي"، أن حالات الذات Ego States ليست فقط الحالات المعروفة (الطفل واليافع والوالد)، وإنما هي وحدات نمو متعاقبة ومتراصة الواحدة فوق الأخرى

أضافه إريك بيرن أن "وحدات الذات" Ego Units وليس فقط "حالات الذات" Ego States هي اللبئات التي تبني بها الشخصية. وأن اللبئات الأولى أهم، لأنها "الأساس"، (وهي تمثل الطفولة خصوصا الطفولة الباكرة)

أن الجرح (سوء التربية أو عجز التنمية) إذا لحق هذا الأساس، فإن البناء يكتمل مائلا معرضا للانهييار، وكلما تأخر الجرح ليلحق بوحدات الذات (اللبئات) المتأخرة نسبيا: (مثلا في منتصف العمر أو بعد ذلك) كان الميل أقل، والعرضة للانهييار أبعد

- [3] يحيى الرخاوي: ديوانى: "من باريس إلى الطائف وبالعكس"، مرورا بأى باريس وأى طائف داخلنا وخارجنا، منشورات جمعية الطب النفسى التطورى، الطبعة الأولى 1983، الطبعة الثانية، 2017

Child Abuse - [4] ضرار الأطفال هو اللفظ الذى فضلت أن يكون ترجمة لهذا المصطلح (ضارته الحوادث: أضرت به ، ألمته ، ألحقت به ضرراً " وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارُ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ" البقرة آية 282، وفى الحديث الشريف: "لا ضرر ولا ضرار".

- [5] أقصد: الآن: أى وقت كتابة الأصل، ولكن نما إلى علمى أنه قد صدر مؤخراً قانون بتجريم هذا السلوك (2021)، ومع ذلك فإنى أشك فى إمكان تطبيقه بشكل كاف!!!

إذا استقامت وحدات الذات
(اللبنات: وحدات النمو)
الواحدة تؤسس للقالية وهكذا،
فإن البناء يتصاعد مع أقل ميل،
وأخف خطر

رابط كامل النص مع المقطعات:

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD140522.pdf>

رابط كامل النص:

<https://rakhawy.net/%d9%85%d9%82%d8%aa%d8%b7%d9%81%d8%a7%d8%aa-%d9%85%d9%86-%d8%a7%d9%84%d8%b7%d8%a8%d9%86%d9%81%d8%b3%d9%89-%d8%a7%d9%84%d8%a5%d9%8a%d9%82%d8%a7%d8%b9%d8%ad%d9%8a%d9%88%d9%89-%d8%a7%d9%84%d8%aa-17/>

" شبكة العلوم النفسية العربية "

إنجازات الموقع العلمي

www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynetPart1.pdf

- صفحة الاستقبال

[/http://www.arabpsynet.com](http://www.arabpsynet.com)

- الرابط الأول: نفسانيون

http://www.arabpsynet.com/menu.asp?link_c2=/HomePage/ISTGIST.Ar.HTM¤t_c2=2

- الرابط الثانى: مجالات

http://arabpsynet.com/menu.asp?link_c2=/HomePage/RevAr3.htm¤t_c2=3

- الرابط الثالث: كتب

http://www.arabpsynet.com/menu.asp?link_c2=/HomePage/BOOKS.ArLibr.htm¤t_c2=4

- الرابط الرابع: معاجم

http://www.arabpsynet.com/menu.asp?link_c2=/HomePage/DictAr3.htm¤t_c2=5

- الرابط الخامس: مؤتمرات

http://www.arabpsynet.com/menu.asp?link_c2=/HomePage/CongAr.3.htm¤t_c2=6

- الرابط السادس: جمعيات

http://www.arabpsynet.com/menu.asp?link_c2=/HomePage/ASS.Ar3.htm¤t_c2=7

- الرابط السابع: وظائف

http://www.arabpsynet.com/menu.asp?link_c2=/HomePage/JobsAr.3.0.htm¤t_c2=8

الكتاب السنوي 2021 لـ " شبكة العلوم النفسية العربية " (الاصدار العاشر)

الشبكة تدخل عامها 21 من التأسيس و 19 على الويب

21 عاما من التحدي... 19 عاما من الإنجازات

<http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf>